

مواظر مرسله

النعجة السوداء

للأستاذ حامد بدر

(تلك قصة قصيرة ، سميتها من رجل
قوى فلتخصها في هذه الطور)

—

في مكان ناء عن العمران ، حيث السكون سائد لا يشوبه ضجيج ،
والهواء طلق لا يعمقه بناء ، والقضاء رحب لا يحده من سمته شيء ،
والقبة الزرقاء تتحدى كل القباب بروعتها وجلالها ، وتفيض
على الأرض من خيرها وبرها ، ونورها وظلها ... وفي إعفائه
يقطى ، تنيم النفس أمناً ، وتوقظها إيماناً ، وفي هدأة خالصة مخلفة
يرجع فيها من خلق إلى من خلق ، ويستجم العقل المكسود
المحدود ... كان أحد الملوك مصطحباً وزيره ابتغاء النزهة الهادئة
الطليقة ، المجردة من مظاهر السلطان والجاه . وبينما هما سائران
إذا براع يرمي غنماً ، وقد اقترب من الأرض مكاناً خشناً ،

أشياء ، عرفت فيه وجهه الذي لا أنساه ، فقد كان وجهه صديق
الضائع ، وأنكرت منه طرفاً من سلوكه مع الناس ومعاملته إن
كان في صحبته من الرفقاء ، حتى لقد هممت أن أعاقه وأقبله
وأقول له : لقد كان لي صديق وجهه يحاكى وجهك ، ولباسه يشبه
لباسك ، وكلامه مثل كلامك ، ولكنه يخالف عنك يا صاحبي
فيما عدا ذلك . فمن تكون ؟

ولكنني جيت دون ذلك ولم أفعل ، وبصرت به برامقني
شزراً من بعيد ، فبادلته النظرة وانصرفت لطريقي مترجماً على ماضي
الصديق الضائع !

بعد هذا بسنين ، تلقيت مفعاة هذا الصديق ، فإأ أحسبني
تفجعت كما تفجعت أمده ؟ ولا بكيت مثل ما بكيت لونه . لقد
فقدته مرتين : مرة يوم قاطمني ، ومرة يوم مات عني ، فكأنه
مات مبتقن ، سقى الله جدته وتداركه برحماته .

منصور جباب الله

مستظلاً بصفافة حانية ، في جوار قناة جارية ، وبين يديه
لقيمات بابسات ، يتناولها في رضا واطمئنان ، ثم يعيل على النخيل
الجاري ، فيروى ظمأه ويحمد الله . وبعد قليل يخرج من جيبه
قسيبة تشبه الناي ، ويطلق صفيره في الفضاء ، فيقطع السكون
السائد بلحن حلو طروب ، له في كل ناحية صدى ، وكأنه
يملك الدنيا بأسرها !

تعجب الملك ووزير ، لهذا القناع الراضى ، الذي لم يمسك
صفوه شيء من اكدار الحياة ، فناداه الملك وسأله : كيف حالك ؟
فقال : كما ترى يا سيدي ، أحمده الله على ما أعطاني من نعمة ،
وما وهبني من عافية . قال الملك : ما أحسن إيمانك ، وما أجل
شكرائك ! ولكن أما يزعجك في حياتك الهادئة شيء ؟ قال :
لا شيء سوى هذه النعجة السوداء ، فكثيراً ما تشد عن
زميلاتها ، وتستعمل قرنيها في الأذى ، فتقطع غنائى ، وتسكدر
صفوى ... أفكر الملك قليلاً ثم قال : طابت حياتك أيها الرجل
لولا النعجة السوداء ،

وبعد أن ابتعد عن الراعى رأى الوزير الملك مفكراً ، كأن
أمراً شغله ، فقال : أعزك الله يامولاي ، وجعل السعادة ظلاً للملك
العزیز ، ليت شمري ما يشغل بال الملك ؟ أرجو أن يكون خيراً
وأوماً الملك شاكر ، وظل في تفكيره برهة ثم قال : ماذا تركت
في نفسك هذه النزعة من أنر ؟ وهل رأيت فيها شيئاً من الغرابة ؟
قال الوزير : لا غرابة - يامولاي - في جمال النزعة وترويجها
وهدرتها ، ولكن الغرابة في قصة الراعى . لقد دلت الأرض التي
افترسها ، واللقيمات التي طعمها ، على الخشونة والشظف . ودل القناع
والصغير على السعادة والسرور ، ودلت النعجة الشاردة على أن السعادة
لا تصل إلى حد الكدال ! فعقب الملك على جواب الوزير قائلاً :
اعلم أيها الوزير أن المال والجاه والقصور والحداث والخزائن والملك
كل هذا لا يثنى النفس عن استسلامها لشاغل ما ، ولا يملأ
بينها وبين هم يشوب سرورها ، أو يطفى عليه ، فكل أمرى
- وإن علا - نعجة سوداء !

حامد بدر